شهداء الفضيله

آية الله الشهيد المدرس

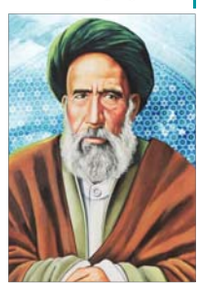

السيد حسن طباطبايي زوارة (١٨٧٠، سرابة - ١ ديسمبر ١٩٣٧، كاشمر) المعروف باسم المدرس هو من الشخصيات الدينية والسياسية الإيرانية المعروفة، الذي برز دوره منذ أحداث الحركة الدستورية الإيرانية (١٩٠٥ -١٩٠٧م) والحرب العالمية الأولى، فكان عنصراً حيوياً في مقارعة الاستبداد والظلم في الفترة التي كان يعاني المجتمع الإيراني من السيطرة الأجنبية. الولادة والنشأة

ولد في عام ١٢٨٧ هـ في قرية سرابة كتشو وهي قرية منسية تقع على بعد اثني عشر كيلومتراً من شرق مدينة أردستان التابعة لمحافظة أصفهان الإيرانية. نشأ السيد حسن المدرس على يد والده، الذي كان من افاضل الخطباء ومبلغي الأحكام والشريعة الإسلامية. ولكن بعد أن بلغ عمره ست سنوات تكفل جده السيد عبد الباقي تربيته وهاجر معه إلى مدينة قمشة. تنتسب عائلة المدرس إلى السادة الطباطبائية الزوارية.

التعليم

لما أصبح السيد حسن المدرس في الرابعة عشر من عمره توفى جده، فغادر قريته متوجهاً إلى اصفهان لمواصلة دراسته الدينية بناءً على وصية جده فمكث فيها ثلاث عشر سنة، ودرس خلالها العلوم العربية والفقه والأصول والفلسفة.

ثم هاجر إلى النجف في حدود سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م) لمواصلة دراسته العليا في حوزة النجف فدخل الحوزة وتتلمذ هناك على يد كبار علمائها من أبرزهم. السيد محمد كاظم اليزدي، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والمولى علي النهاوندي. حتى نال درجة الاجتهاد فعاد إلى اصفهان بعد سبع سنوات في حدود سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م)، فأخذ يدرّس الفقه والاصول في بعض مدارسها، ثم انتقل إلى العاصمة طهران فتولى التدريس في مدرسة «سبهسالار».

حياته السياسية

بعد انتصار الحركة الدستورية في إيران دخل السيد المدرس المجلس النيابي في الدورة الثانية بتوصيات من علماء النجف ليكون أحد أعضاء اللجنة الخماسية التي كانت وفقاً للدستور مخولة على الإشراف على اللوائح التي تشرع في البرلمان لضمان مطابقتها للشريعة الإسلامية ومراقبة باقي الأعضاء لئلا يحيدوا عنها. وكان صلباً وصريحاً ويقف بوجه مخطّطات رضا خان ويوصفها بالخيانة والعمالة للاستعمار، وقد أدّت شجاعته وصلابة مواقفه السياسية إلى انتخابه من قبل أهالي طهران في الدورة الثالثة للمجلس.

وفي الدورة الرابعة أيضاً انتخب من جديد عضواً في البرلمان وترأس الأغلبية هناك. ولعب دوراً بارزاً في افشال اتفاقية عام ١٩١٩ التي عقدت بين وثوق الدولة والاستعمار البريطاني، وكذلك في اسقاط حكومة وثوق الدولة نفسها.

وفي الدورة الخامسة للمجلس ترأس السيد المدرس كتلة الأقلية بسبب دخول عدد كبير من النواب الذين تم شراءهم من قبل رضا خان، الذي كان وزيراً للحرب آنذاك. وفي هذه الفترة حصل رضا خان على موافقة البرلمان في تعيينه رئيساً للوزراء وقائداً عاماً للجيش. وكان رضا خان قد تقدم بمشروع إلى المجلس يقضي بالغاء الملكية الى الجمهورية الّا ان المدرس الذي كان يرى بأن رضا خان هو الذي جاء به الاستعمار البريطاني قام بمعارضته بشدة. ولكن بعد فترة بدأ رضا خان بقمع أي مقاومة داخلية، وخاصة من جانب الأقلية في المجلس. فقبل أن تنتهي الدورة الخامسة للمجلس تم إقرار قانون يقضي بتغيير السلالة الملكية القاجارية، وذلك بسبب الأغلبية التي حصل عليها رضا خان في المجلس على الرغم من مقاومة الوطنيين، وعلى رأسهم السيد المدرس. وفي الدورة السادسة تم تنصيب رضا خان ملكاً على إيران من قبل مجلس المؤسسين الذي تشكل آنذاك.

مؤلفاته

حاشية على الكفاية في الأصول
رسالة في العقود
رسالة في الشرط المتأخر
بحث في لزوم القبض في الموقوفات
رسالة في الاستصحاب
وجيزة في بعض مسائل العدّة

استشهاده

في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٥٦ قُتل خنقاً بأمر من رضا شاه. فدفن بمدينة كاشمر في إيران، وقبره الآن معروف يزار.

المصدر: وكيبيديا شيعة

مقالة

▫ الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

الدعاء؛ أركانه وآدابه على ضوء النصوص الدينية

▫ محمد مهدي لزيق

خُلق الإنسان لكي يُرحم ﴿إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. ولنيل تلك الرحمة لا بدّ أن يُبتلى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ليؤدي العبادة باختياره ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. فتكليف الإنسان هو العبادة، أما البلاء قبله والرحمة بعده فعلى الله ﷻ، لهذا السبب كان على الإنسان أن يكرّس كل لحظات عمره للسير على طريق العبودية «حتى تكون أعمالي وأورادي كلها وردًا واحدًا». إن جوهر العبودية استحضار الفقر المطلق أمام الغني المطلق، وهل هناك مصداقٌ أجلى من الدعاء لمفهوم العبودية «الدعاء مخ العبادة». فللدعاء مكانته المرموقة وهو من أسمى المفاهيم الإسلامية.

إن الدعاء لغةً هو طلب الحاجة من قِبَل الفاقد للواجد. أما التصور الشرعي للدعاء فهو نفسه اللغوي مضافًا إليه أن المدعو واجدٌ لكل كمالٍ، وفاقدٌ لكل نقصٍ، وهذا لا ينطبق إلا على الله تعالى.

من خلال نظرنا في النصوص الدينية -من قرآن وروايات- يمكن لنا معرفة فضل الدعاء في الثقافة الإسلامية. أما في القرآن، فقد وردت عدّة آيات، نذكر منها قوله تعالى: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا لَكُمْ رَبّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ﴾؛ أي أنه لولا وجود الدعاء لما اكترث لكم ربي؛ (ومعنى كونه سبحانه عابئًا بكم هو الارتقاء بكمالاتكم، وتحقيق القرب والدنو منه). ومن آياته ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ﴾.في هذه الآية وصف لحالة الداعي الصادق "المضطر". وتارةً يكون هذا الاضطرار اختياريًّا، وتارةً غريزيًّا. ومن آياته ﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾. في هذه الآية ترهيب من ترك الدعاء، لإثارة الخوف البنّاء في القلوب. فترك الدعاء والاستغناء عنه، يعني الاستغناء عن الله تعالى، وهذا أقرب ما يكون إلى الكفر. ومن آياته ﴿هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ﴾. من المعروف أن زكريا وزوجه كانا كبيرين في السن، فدعاؤه كان فيه شيء من الإعجاز، وهذا يلفتنا إلى أن مطالبنا يجب أن تكون عظيمة ولا تقتصر على طلب الأمور البسيطة، التي نتوهم أنها بمتناول أيدينا، على شرط أن لا تكون مخالفة للسنن الكونية. أيضًا هناك إشارة إلى أن المطالب حتى لو كانت ذات طابع دنيوي بالظاهر، يجب أن تحمل في باطنها طلب للكمالات الإنسانية، فزكريا ﷺ لم يطلب ذرية بشكلٍ مطلق، بل أراد ذرية طيبةً. هناك إشارة لطيفة في قوله تعالى: «سميع الدعاء» فكلمة سميع تفيد المبالغة، ولم يقل زكريا تسمع الدعاء» -مثلاً-.

وكما أشرنا، فإن للدعاء حصة في الروايات الشريفة، في بيان فضله، والحث على التمسك به في الرخاء والشّدة. فعن الإمام الصادق ﷺ: «عليكم بالدعاء فإنكم لا تتقربون بمثله». إن غاية السعداء هي القرب ممّن يحول بين المرء وقلبه. فهل يُعقل أن يضيع السالك الصادق فرصة الدعاء، ويغفل عن ذكر ومناجاة معشوقه. عن رسول الله ﷺ: «ما من شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء»؛ في هذا دلالة على أن أعظم رابطةٍ بين العبد وربه هو الدعاء، (وإذا ما وصِف الوحي بالمباشر وغير المباشر فإن قضاء الحوائج ونيل الكمالات المفقودة على قسمين أيضًا، إمّا أن يحصل بصورة مباشرة، وهو ما يكون بواسطة الدعاء، وإما أن يحصل بواسطة، وهذه الواسطة مهما تعاظم أمرها وعلا شأنها فلا ترتقي في الاستجابة لما عليه الدعاء). لكن هذا لا يغنينا عن وساطة الأئمة الأطهار والرسول ﷺ، فوساطة الأئمة والرسول ليست مطلوبة بذاته، بل هي اكتسبت ضروريتها بتبع قصورنا ونقص قابلياتنا عن النهل من منبع الفيض مباشرةً، (إذا أراد الله أن يُنزل رحمة فإنه يُنزلها أولًا على القلب المقدس لولي العصر عجل الله فرجه الشريف ، ومن ثم تجري تلك الرحمة إلى الآخرين). أخيرًا، عن رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة رجلان، كانا يعملان عملًا واحدًا، فيرى أحدهما صاحبه فوقه، فيقول: يا رب بما أعطيته، وكان عملنا واحد؟ فيقول الله تبارك وتعالى: سألني ولم تسألني». ثم قال ﷺ: «اسألو الله وأجزلوا، فإنه لا يتعاظمه شيء»، وفي هذا تحذير من الحسرة يوم القيامة التي تصيب مُهمل الدعاء، وفي نفس الوقت تشجيع على طي طرق الكمال بالدعاء. بالإضافة إلى هذا، هناك إشارة إلى أن المطالب يجب أن تكون عظيمة «أجزلوا». قد يتبادر إلى بعض الأذهان إلى أن هذا المطلب يتنافى مع الحديث القائل: «يا موسى سلني كل ما تحتاج إليه، حتى علف شاتك وملح عجينك»؛ (فهذا تعبير كنائي أكثر من كونه حقيقي، أُريد به الإشارة إلى توطيد الأواصر بين العبد وربه)، وكي يعرف بأنه حتى أسهل الأمور مثل إحضار الملح والعلف لا تتحقق إلّا بإذنٍ منه تبارك وتعالى، وكي لا نتوهم بأن تلك الأمور البسيطة تتحقق بقدرتنا، وبغنىً عن كرمه سبحانه.

إن الدعاء أساسٌ في المنظومة الدينية، فلا بد أن يكون له أُسس وأركان مدروسة وصحيحة. أول هذه الأركان هي معرفة الله، فمن يجهل المدعو سوف لن يكون دعاؤه له، بل سيكون للوهم الذي في خياله. لذا فجهلنا بالله يسقط الدعاء، والقبول رهن المعرفة، عن رسول الله ﷺ: «لو عرفتم الله حق معرفته لزالت لدعائكم الجبال». ليس المقصود هنا اكتناه ذاته سبحانه، فهذا أمرٌ محال «كلّت الألسن عن غاية صفته، والعقول عن كنه معرفته»، بل علينا أن نعرفه بما أمرنا أن نعرفه به «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»؛ أي بصفاته وأسمائه. من ثمار معرفته الاعتقاد بأنه المُعطي والآخذ، والمُحيي والمميت، وأنه لا يجري في ملكه إلّا ما يشاء. يمكن اعتبار الركن الثاني شعاعًا من الأول، فمن عرف ربه سوف يُحسن الظن به، وسيرضى بحكمه. فهو لن يشترط على الله شيئًا من قبيل ترك واجبٍ أو فعل محرم -عند عدم الاستجابة، بل سيفعل تكليفه ويدعو ربه، وظنه أن ربه لن يبخل عليه وسيعطيه بحكمته وعلمه بالمصلحة. (فمن كان تسليمًا محضًا يدعو تأدّبًا طاعةً لله لأنه أُمر بالدعاء ولأنه أمرٌ عبادي، فهو مسلمٌ محض وراضٍ لرضا الله سواء أعطاه الله أم لا. فهو لا يدعو إلّا لكون الدعاء عبادة). عن الإمام الرضا ﷺ «أحسن الظن بالله، فإن الله ؟ع.؟ يقول: أنا عند حسن ظن عبدي المؤمن بي، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا». كذلك ثالث ركنٍ يستمد نوره من شمس معرفته سبحانه، فمن استشعر شيئًا من هيبة ربه ولطفه، ستكون ردة فعله الطبيعية هي الانقطاع عمّا سواه. فلا يصح أن يسكن القلب غير الله أثناء الدعاء، وإن لم نتمكن من هذا طيلة الدعاء، فلا بأس بجبر تقصيرنا ببضع لحظاتٍ نتوجه فيها إلى نور وجهه الكريم. أما رابع ركنٍ فمنوط بإرجاع كل كمالٍ منسوبٍ إلينا، إلى العلّة الأولى ومُنبعه ومفيضه، فلا يبقى لنا سوى الفقر، وله الغنى عز وجل، فيصدق عندها مفهوم التواضع للمتكبر. يجب على العبد أن يقدم لسيده هدية يفقدها هو، فكيف يقدم الإنسان هدية إلى الله، وكل كمالٍ عنده فهو من ربه، (نقول بأن العبد إذا تشرف بخدمة مولاه، لا ينبغي له إلا تقديم المسكنة والضعف والعجز والبكاء والابتهال والتضرع. وحري بالعبد إذا مثل أمام ربه سبحانه أن يقول: لا أملك سوى العبودية فإن إظهار العجز والإفصاح عن الفقر كمال بذاته). كذلك على الداعي أن لا يغفل وأن يعلم بأن دعاءه بلا سعي سيكون ناقصًا فهو لن يكون صادقًا إذا لم يقرنه بالعمل. فعن رسول الله ﷺ: «مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر». وهذا كان الركن الأخير.

إن التشرف في محضر البارئ سبحانه لشرف عظيم لنا، ففي محضره علينا التمسك بآداب نلتزم حدودها، فإذا حضر أحدنا بين يدي الإمام الخامنئي -مثلًا- فلا بد أن يلتزم الهدوء وما إلى هنالك من الآداب، فكيف بنا ونحن بمحضر رب الأرباب. إن للدعاء آداب شكلية عديدة، منها البدء بالحمد والتعظيم وذكر الذنوب «إنما هي المدحة، ثم الثناء، ثم الإقرار بالذنب ثم المسألة». مضافًا إليه، النجوى في الدعاء أفضل من النداء، فالنداء يُستخدم مع البعيد، أما النجوى تختص بالقريب، ومن أقرب من الله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾. أيضًا فلمضمون الدعاء آداب، فلا يجب أن يكون الدعاء مخالفًا للشرع أو مخالفًا للسنن الكونية مثل الخلود في الدنيا، وأن لا يكون الدعاء للخلاص من بليّة أوقع نفسه فيها، ولم يتب بعد من ذنبه. كذلك فلا يصح أن ينبع الطلب من الحسد، بل الحُسن في أن ينبع السؤال من الغبطة، فالأولى تعني أن المطلوب زوال النعمة من يد الآخر والحصول عليها، أمّا الثانية فهي طلب النعمة دون طلب زوالها من الآخر. وهذا أمر ممدوح، فهو مصداقٌ لقوله تعالى: ﴿وَفِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ﴾. تجدر الإشارة أيضًا إلى أن للبدء بالبسملة فضلٌ عظيمٌ، وتركها خسارة، فعن رسول الرحمة ﷺ «كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر». كذلك فالبدء بالصلاة على محمد وآله والختم بها أثرٌ عظيم، عن الإمام جعفر الباقر ﷺ: «من كانت له إلى الله عز وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله، ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله ؟ع.؟ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط؛ إذ كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا تُحجب عنه». أخيرًا فقد وردت عدّة روايات تشير إلى أهمية التأمين في نهاية الدعاء، أي القول «آمين» أي استجب. عن الإمام جعفر الصادق ﷺ «كان أبي إذا حزنه أمر، جمع النساء والصبيان، ثم دعا وأمنوا»، وعنه أنه قال: «الداعي والمؤمّن شريكان».

الاضطرار مخ الدعاء، فالدعاء الصحيح لا بد أن ينبع من الاضطرار. وكما علمنا سابقًا، فالدعاء ضرورةٌ في الرخاء والشدة، هنا يمكن أن يطرأ سؤالٌ على الذهن، نتيجة العجز عن إيجاد المناسبة بين الرخاء والاضطرار. لدفع هذا الالتباس نقول وكما أشرنا سابقًا فالاضطرار صورتان، إحداهما اختيارية والأخرى غريزية. أما الاضطرارية الغريزية فهي ناتجة عن تقطع الأسباب المادية، فيحصل اليأس من النجاة، فيتعلق الإنسان غريزيًّا بخالقه لأجل خلاصه. فهذه الصورة ونظرًا لاتصافها بالغريزية ولا علاقة لها باختيارنا، فهي لا تساهم بشيء في اكتساب الكمالات الإنسانية. أما الاضطرارية الاختيارية، فثمرةٌ لكلماتٍ على لوح القلب خطّها قلم العقل بعد أن أدرك بأنه لا مؤثّر في الوجود سوى مبدئه. وهذا الاضطرار معراجٌ للسالكين يعرج بهم للفناء في معشوقهم، كما تفنى القطرة في البحر. فيصير الإنسان مصداقًا لقول أمير الكلام ﷺ: «ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله وبعده»، عندها ييأس الإنسان من الأسباب المادية، لأنه قد علم بأن أمرها بيد مُبدعها، وأنها ليست سوى مجارٍ لفيض نوره.

يجدر بنا، بناءً على ما تقدم، واقتداءً بسيرة أئمتنا الأطهار ﷺ والأنبياء الصالحين ﷺ بأن لا نتوجه في طلبنا إلّا إلى الله تعالى. وكما قال الإمام السجاد ﷺ: «ويحك أفي حرم الله أسأل غير الله ﷻ». قد يبدو هذا مطلبًا غريبًا للوهلة الأولى، لكنه حقيقة وليس بأمرٍ غريب، بل هو سهلٌ وحلو المذاق لمن كانت نفسه عزيزة. إن أوضح مصداقٍ لهذا المطلب هو تأدية التكليف، فمن كان كل همه وعمله في دنياه تأدية تكليفه، سوف يكون كل عمله بغية مرضاة الله، فإذا استعان بغير الله -من ماديات وبشر- بصفتها مجارٍ لفيضه تعالى فلا محظور، بل سيكون عمله هذا في الحقيقة تابعًا لطلب وجه ربه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

المصدر: معهد المعارف الحكميّة

قراءة في كتاب

مذكرات الشيخ بهلول

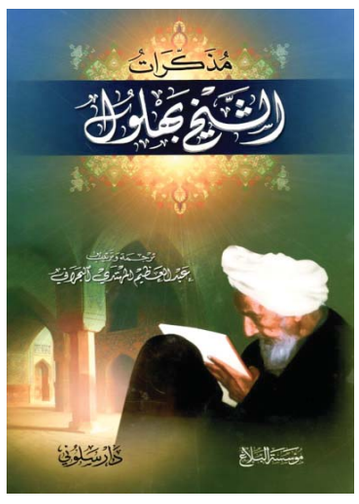

يحكي هذا الكتاب قصة وسيرة حياة الشيخ الإيراني المجاهد الشيخ محمد تقي الكنابادي الملقب بالبهلول وهو كتابٌ بقلم الشيخ نفسه، ترجمه إلى العربية الشيخ عبدالعظيم المهتدي البحراني بإجازة من الكاتب نفسه.

ينقسم الكتاب إلى عددٍ من الفصول حوت جميع مراحل حياة البهلول، وهي كما نقرأها حياة ملؤها الدراسة والجهاد والعمل وهي عناصر لا تأتي إلا بمفاهيم ثلاثة هي الإرادة والانتباه والطاعة.

بدأت رحلة الجهاد والكفاح للشيخ الشاب العشريني المجاهد والعالم الديني محمد تقي البهلول من قريته في كناباد، عندما أجاز له المرجع الديني الأعلى السيد حسن الأصفهاني بجهاد الدعوي ضد الشاه الأب رضا خان البهلوي. فعزم على طلاق زوجته حتى لا تصاب بأذى؛ نتيجة مشاركته في الحراك الثوري، ثم ليتفرغ للعمل الثوري، ونتيجة لتردي الأوضاع في إيران من قبل حكومة الشاه، فإن الأمر أصبح محتوما على البهلول لمجابهة تلك الطغمة الحاكمة، وانطلقت الشرارة الأولى للثورة من مدينة سبزوار، حينما اعترض البهلول ومن آزره على زيارة الملك الأفغاني أمان الله خان وما رافق زيارته من مظاهر الرقص والموسيقى والمحرمات.

انطلق البهلول نحو تصعيد الخطاب الديني والسياسي والاجتماعي اتجاه حكومة الشاه وجلاوزته، وراح يدعو الناس ويلهب حماسهم ضد الشاه على كل منبر يرقاه في المساجد والجوامع والحسينيات والحوزات والقرى والأرياف حتى تجمعت له الأرضية الخصبة والأصوات المناهضة للتصدي لقوانين الشاه.

الثبات على المبدأ والعزيمة على تحقيق الهدف والإصرار على إعلان النصر مؤهلات لا بد أن تتوافر في القائد الذي يقود ثورة على الظلم. ونجد هنا أن المبدأ هو ردع الظلم عن نفوس الضعفاء ومحاربة الفساد، أما الهدف فهو إسقاط الحكومة الفاسدة إلى حين النصر بإعلان الحرية والعدالة. والقارئ لهذه المذكرات يجد هذه المعادلة منذ أول يوم أعلن فيه البهلول عن جهاده ضد الشاه.

من مدينة مشهد وبالتحديد من مسجد كوهر شاد، انطلقت الشرارة الثانية للثورة، وأعلن فيها الشيخ بهلول رفضه القاطع لحملة الاعتقالات التي طالت العلماء، وحركات القمع الشديدة. وقد التفّ الشعب حول الثورة، وراح يبدي مساهمته ومعاونته في سبيل إسقاط الشاه ودفع الظلم عن الضعفاء والمحرومين، وبالمقابل انتهج الشاه أسوأ الاحتمالات الهجومية في إجهاض الثورة.

لم يكتب للثورة النجاح ولكنها سجلت لنا أروع الأمثلة لمن أراد أن يقترب من الصورة ويراها على حقيقتها، فهناك الشخصية الخائنه (نواب احتشام الرضوي)، وهناك شخصية المرأة المجاهدة (القوجانية شبيهة طوعة)، وهناك شخصية الشاب البطل المقدام الذي أردى ضابط الجند بضربة قاتلة نتيجة سلوكه السيئ، وأيضا لا ننسى العمل الرائع الذي قدمه أهل قرية (سيس أباد) وغيرها من الأمثلة.

إن طريق العذاب والمحن حيث يمتحن الله عباده المؤمنين في ظروف قاسية هو ذاك الطريق الشائك بالأشواك والمتاهات الذي سلكه البهلول من إيران إلى أفغانستان، هربا من بطش الشاه وهو نفس الطريق الذي سلكه نبي الله موسى من مصر إلى قرية مدين هربا من بطش فرعون وملأه.

في أفغانستان بدأت رحلة السجن والمعتقل ورحلة الكآبة والمحن ورحلة الفاقة والألم ورحلة الدعاء والصبر، ورحلة الجهاد والعمل ورحلة الثواب والظفر حيث ظل البهلول محبوسا ومعتقلاً بعيدًا عن الوطن والأهل لمدة ثلاثة عقود يتجرع مرارة الضيم والإهانة حتى ساعة الفرج.. وهذا ما قد حصدته يد الثورة على الطاغية الشاه الأب.

في أفغانستان ضرب البهلول أروع الأمثلة في بناء الذات الإنسانية الثورة، فقصته مع السجّانين، ومع الحشرات المؤذية في السجن، وموقفه مع مدير السجن وضابطه، وقصته مع الزعيم الانقلابي الأفغاني ملك قيس، ومواقفه ممن حاول اغتياله، إلى جانب قيامه بمهام يعجز الكثير عن الإتيان بها وتحملها في مثل حالته مثل حضانة وتربية الأطفال الرضع، ورعاية المرضى، والتدريس والموعظة وغيرها من الأمثلة والمواقف التي دلّت على عظم شأن هذا البهلول، وهو ما دعا التبني قضيته ومساعدته في محنته أكثر من جهة ومن شخصية داخل أفغانستان وخارجها.

حينما قرأتُ هذه المذكرات لم أجد أقسى وأمر قصة من قصص البهلول مرت على قلبي، إلآما أكثر من قصة زواجه الثانية من المرأة الافغانية الصابرة والمجاهدة والمطيعة له في محنته. فإذا كانت هذه القصة بهذا الألم وأنا أقرأها فكيف كانت على قلب صاحبها... فما أجلده من قلب وما أصبره على تحمل الأذى.

لقد تم إطلاق سراح البهلول بعد ثلاثة عقود من السجن والاعتقال، ثم بمشيئة وإرادة ربانية ناشدت المنظمات الجهات المعنية لإطلاق سراحه، فخُيّر البهلول بين المقام او الرحيل والعودة للوطن فاختار الرحيل ولكن ليس لإيران بل إلى مصر عبد الناصر، وبقي هناك منددا بالشاه وحكومته ثم رحل إلى العراق بدعوة من ابنة أخته فيها فبقي هناك مواصلا حملته ضد الشاه، حتى جاء القرار النهائي ليعلن فيه عن خياره بالذهاب الى إيران مواجها الشاه حتى إسقاط حكمه ونفيه.

إن من يقرأ الكتاب ويتمعن في قرآءته يدرك أن الشيخ بهلول قد واجه كل الأضداد في حياته، فقد واجه الجهل بعلمه، والمكر بالصدق، والزيف بالحقيقة، والخنوع بالجهاد، والصلافة بالحكمة، والخلق السئ بالخلق الحسن وواجه ممن لا دين لهم بالدين الأصيل الوسط.

أحمد عباس آل سنان

المصدر: موقع «الرؤية»